لحة تاريخية عن البربر (١) سكان بلاد المغرب

يقول ابـن خلدون: إن البربر من الجنس السـامي الذي ينتمي بــالأرومة إلى ماريخ بن كنعان استنادًا إلى أن لغة بعض القبائل البربرية تعرف بلغة (تميزيغت) وهي كلمة بربرية تدل على مؤنث لفظ أمزيغ البربري ومعناه «الرجل الحُر»، وذكر المؤرخون والجغرافيـون الأقدمون البربر بأسماء متعددة فقــالوا: النسامون أو البسيل ويقطنون برقة وطرابلس، والكرمانت وهم يعيشون عيشة بدوية في الصحراء، والماكيل (الماكس) فهم يقطنون الجهات الممتدة على الساحل التونسي، و الكتول يأوون إلى حدود الصحراء والهضاب المرتفعة، ويستقر المور في المغرب الأوسط (الجزائر) والمغسرب الأقصى (المملكة المغربية)، والنومسيديدون يعيشسون في المغرب الشرقي (شرق الجـزائر) ومعظم البربر في الجزائر ينحدرون إلى السـلالة النوميدية وخاصة أن الجزائر كانت تسمى قديمًا «نوميديا»، ويذكر أن الذي أطلق على سكان الأقطار المغاربية اسم البربر هم الرومانيون حين احتلال تملك البلاد، لما أنهم لم يفهموا لغمة هؤلاء السكان المغاربة فأطلقوا عليهم اللفظ اللاتيني القديم BORVARU أي المتلعثمين في السنطق، والبربر كالعرب يمتازون في سلوكهم الاجتماعي بالخشونة والجُلَـد والشجاعة وحـدة الطبع والخلق والرغبة في القــتال والتعصب للنظام القَبَلي والاحتفاظ بالعادات والتقاليد الموروثة والتمسك بها، ولربما يميل بعضهم إلى السذاجة وسهولة الاقتناع والبساطة وقوة الإيمان والتوكل على الله، وعند البربر القـدرة على الاحتمـال والصبر على العناء وقطع المسافات البعيدة المدى على الأقدام في غير كلل.

ويقسم علماء الأجناس إلى تقسيم البربر إلى نوعين: نوع قليل العدد وينحصر وجوده في الجهات الريفية الجبلية من شرق الجزائر، ويتميز هذا النوع بزرقة العيون وشقرة الشعر واستطالة الرأس ودقة الأنف ورقة الشفتين وسطحية الجبهة وهم ينحدرون بالأورمة إلى الشعب القرطاجي(٢) القديم، ويقطن أغلبهم في جبال الجرجرة الواقعة شمال الجزائر، وهناك قسم من البربر يقطن ما بين مدينة

⁽١) يظن أو يحسب بعض الجهلاء أن البربر هم من السودان سود البشرة ويقال في مصر لبسعض هؤلاء السودانيين برابرة وأحدهم بربري (أغلبهم من بلاد النوية) وشنان بين هؤلاء وبسربر بلاد المغاربة فهم قبائل أغلبها من دوي البشرة البيضاء والشعر الأشقر والعيون الزرقاء أو الخضراء.

من قاري المبسود الجياماء والصفو المسلم والمبيون موره المراد الشام وعلى الأخص في لبنان، وقــد هاجر هؤلاء إلى (٢) القرطاجــيون أصلهم من الفينقيين من شــعوب بلاد الشام وعلى الأخص في لبنان، وقــد هاجر هؤلاء إلى تونس وكانت عاصمتهم قرطاجة، ثم دمرها الرومان وشتتوا شملهم وكان قبل الإسلام بعدة قرون.

بجاية في ساحل البحر ومدينة الجزائر يتميزون بسمرة وسواد الشعر واستادرة الرأس وقصر الانف وتقوس الجبهة وبروز الخدين، أما من الوجهة الاجتماعية وسلوك الحياة فيقسم البربر إلى طائفتين كبيرتين متباينتين فيما يتعلق بأنماط المعيشة التي تحياها كل طائفة منها، فالطائفة الأولى تشمل بربر (البتر) وهم رُحَّل في العادة يركنون إلى الزحف على السهول ويرتبون معيشتهم في الغالب على الرعي ومن أشهر قبائل البتر: لواته، وزناتة، ونفزاوة، ورجراجة، وأداسة، وأنتوسة.

والطائفة الثانية تضم بربر البرانس أو الحضر وهم سكان الهيضاب والسهول والمدن والقرى الكبيرة ويرتبون معيشتهم على الصناعة في المدن وعلى الزراعة في الهضاب والسهول، وقد اختلط هؤلاء من البرانس (البسربر) بالملاحين الذين كانوا يجوبون البحار في فحر التاريخ وأخذوا منهم الكثير من أساليب الحيضارة العريقة في القدم فعرفوا صناعة المنسوجات وبناء المساكن وصناعة الأواني الفخارية، وكان لهولاء البرانس آداب في العصر الإسلامي فترجموا القرآن الكريم إلى لغتهم وألفوا الكتب الدينية ووضعوا الملاحيم الشعرية وبعض القصص الساذجة على ألسنة الحيوان، وقد استغل الرومان هذه الفوارق بين طوائف البربر البرانس وبين البتر في خيذروا بذور الشقاق وضمنوا بذلك السيطرة على بلاد المغرب، وقد نهج ذلك النهج الأشراف الفاطميون(۱) في العهد الإسلامي فاتخذوا من بربر صنهاجة أنصارًا يعساونوهم في الحروب التي شنوها ضد بسربر زناتة طوال حكمهم لبلاد المغرب يعساونوهم في الحروب التي شنوها ضد بسربر زناتة طوال حكمهم لبلاد المغرب

البربر في الوقت الحاضر:

من أهم قبائل البربسر في الجزائر فكلها تنتمي بالأرومة إلى صنهاجة وكُتامة التي تقيم في بلاد القبائل الصغرى (منطقة كبيرة عاصمتها بجاية)، وروارة التي تسكن بلاد القبائل الكبرى (منطقة جنوب وشرق بجاية).

⁽۱) سُمُوا فاطميين سبة إلى فاطمة الزهراء _ رصي الله عنها، وهم من ذرية الحسين بن علي _ رضي الله عنه _ وهم العبيديون سبة إلى عسبيد الله المهدي ابن محمد الحبيب المصدق اس محمد مكتوم ابن إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر، وقد احتمع لهم حكم مصر والشام والمغرب وصقلية حنوب إيطاليا

أما زناتة فهي تعيش في بلاد القبائل ووادي الشلف وملوية الآن، وتقيم قبائل بني يفرن (زناتة أيضًا) بالوقت الحاضر في المنطقة الواقعة بين الشلف والملوية.

ومن قبائل صنهاجة فرع شهير يسمى «الطوارق» وهم يقطنون الهُـقار من جنوب القطر الجزائري في عمق الصحراء ويعيش هؤلاء عيشة البداوة في الصحراء الكبرى، وكما تنتشر قبائل زناتة تدريجيًا في مناطق تتسجه من الجزائر إلى المغرب الأقصى (مراكش).

ولا يكُوِّن البربر في القطر الجزائري أي وحدة مستماسكة وتغَّيروا كماملاً لاختلاطهم الكُلِّي بالعرب، ولكن مازالت جماعات كبيرة منهم تعيش في الجبال وفي الصحراء وبعض الهضاب المرتفعة.

ونذكر مثلاً بالقرب من مدينة الجزائر فهناك تقيم قبائل البربر (التلاغمة)، و(بني عبد النور) وكذلك تقطن قبائل (زواغة) في إقليم سطيف، وفي جنوب قسنطينة وشرقها قبائل (أولاد خيار) ولا سيما في سوق أهراس، و(الحراكتة) في العين البيضاء وشمال غربي تبسة على الحدود التونسية، و(النمامشة) في منطقة تبسة نفسها وينتشرون في جبال النمامشة في الجنوب الغربي من تبسة وهم يتصلون بشاوية جبال أوراس، وهناك تعيش أيضًا قبائل (الأوزارة)،و(زغتيت)،و(بني يعقوب)، و(مراشدة) في أطلس البليدة في تل الجزائر وفي وهران ،وذلك في بقاع متوازية ممتدة من المشرق إلى المغرب، وتقيم قبائل (بني مناصر) بين مليانة وتشرشال في جنوبي مدينة الجزائر وفي غربها وتقطن قبائل (بني خنوش)، و(بنو سنوس)، و(بنو بوسعيد) بالجهات الغربية من الحدود المراكشية، وفي الصحراء توجد قبائل متفرقة من البربر تعيش واحات واد ريغ وورقلة وواحات ميزاب (۱)

⁽١) كما هناك بربر في القرارة وغرادية بولاية الأغواط وأشهرهم العطاطشة ويُطلق عليهم بن شوارة وقد خالطوا قبائل العرب في الصحراء الجزائرية وخاصة وادي ميزاب وما به من قرى ومدن.

نبذة عن صنهاجة

ويذكر ابن خلدون أن كلمة صنهاجة قريبة النطق من كلمة زناكة وما زال النطق بهاتين الصيغتين متداولاً حتى الآن.

وقبائل صنهاجة فرع هام من فروع الشعب البربري في شمال إفريقيا (المغرب العربي)، ويتقارب الصنهاجيون والمصامدة (قبائل مصمودة) في المملكة المغربية من حيث السلالة والأصل المشترك وكذلك قبائل كُتامة التي تنتشر في الجزئر والمغرب الأقصى أيضًا.

وقد ظهر اسم قبائل صنهاجة كثيرًا خلال العصور الوسطى إذ كانوا طائفة كبيرة العدد تمتد منازلهم عبر بلاد المغرب والصحراء ومن ثم شمل اسم بلاد السنغال، وكان من بينهم بطون تضم القبائل الرُحَّل التي مازال عدد منهم باقيًا حتى اليوم وأهم هذه القبائل هي الهُقار في جنوب الجزائر.

أما قبائل صنهاجة المستقرة كانت قبيلة تكلاتة، وقد بلغت القبائل الصنهاجية أوج سؤددها خلال الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والسادس الهجري، إذ كانت تكلاتة تحتل في القرن الرابع الهجري إقليم قسنطينة بأسره، وفي ذلك الحين نفسه كانت القبائل الصنهاجية المستقرة ولا سيما سلالة بني زيري، فقد أنشأ هؤلاء حكومة قد حكمت بعض الجهات وأهم مدنها أشير التي كانت قائمة على المنحدر الجنوبي الشرقي لجبال تيطري في جنوبي مدينة الجزائر بحوالي ٣٠٠ كيلو متر، ولم يبق من أشيسر اليوم غير الأطلال التي تُسمى حتى الآن اليسشير، وهي عبارة عن ثلاثة أبواب وبعض بقايا القلعة والبرج والصهريج، وفي مكان أشير القديمة تقوم في الوقت الحاضر بلدة بنية وزيري بن مناد بن باديس الذي شيد مدينة أشير البائدة.

ومن قبائل صنهاجة الرحَّل في البوادي تلك القبائل التي كانت تحتل في القرنين الرابع والخامس الهجري الصحراء الكبرى فيما بين طرابلس والمحيط الأطلنطي، وكانت أهم هذه القبائل «لمتونة»، و«مسوفة» وهم أصحاب اللثام أو الملثمين الذين كان لهم شأن عظيم في التاريخ الديني والسياسي في بلاد البربر كلها

1. 89

والأندلس وكان يُطلق عليهم الطوارق. وهناك فريق من هؤلاء الملثمين لهم حيل بارعة في مباغته أعدائهم؛ إذ يسيرون صفًا ممتدًا لكيلا يعرف العدو عددهم من آثار أقدامهم، وهم يحسنون اختيار مواقع الكمين ويهجمون عادة ليلاً أو غشية الفجر (عماية الصبح).

وتستوطن بعض القبائل الصنهاجية القليلة الشأن بلاد السوس والوديان المجاورة لجبال أطلس المراكشية في المملكة المغربية وأهمها قبائل (لمطة وجزولة) الرُحَّل في البوادي المغربية، وقبيلة (هكسورة) المستقرة، وفي الريف المراكشي بالمملكة المغربية تعيش القبيلتان الصنهاجيتان الشهيرتان (بطوية وأرياغل).

ومعظم أفراد صنهاجة يتكلمون في الوقت الحاضر اللغة العربية إلى جانب اللغة البربربة المحلية الخاصة بهم، وهم في أغلب عناصرهم سمر البشرة كالعرب خاصة من هم في المغرب ويعيشون عيدشة استقرار في الأغلب الأعم لمعظم بطونهم، وعداء الزناتية لهم مشهور وهذا طبعًا في القدم قبل الإسلام وكان النزاع المسلح ممتدًا بين الصنهاجية والزناتية قرون عديدة وقد استمر بعد دخول الإسلام إلى شمال إفريقية إذ كانت قبائل رناتة الرحَّل في البوادي تغير على مزارع الصنهاجية وتعمل فيها الندمير، مما دفع الصنهاجية إلى الاحتماء من شرهم بالاستعانة تارة باللاتينين أو البيزنطين، وقد أدى ذلك إلى ظهور الفوارق بينهم، ولربما لم يتوحَّد الصنهاجيون مع الزناتية إلا بعد قدوم قبائل العرب البادية من هلاًل وسُليَم وأتباعهم من الجزيرة العربية، فقد كانت القبائل العربية الهلاكية والسُّلَميّة لا توفِّر ولا تفرِّق بين النوعين وتعتبرهم واحدًا، ولربمًا صمود الزنائية كان أكثر لما أنهم كانوا بوادي وأكثر فروسية، ولكن لم يستمر الصمود عدة سنوات حتى بدد الهلاكية والسُّلَميّة جموعهم في البراري والجبال وتغلبوا علي الضواحي عدة قرون في شمال إفريقيا.

نبذة عن البربر الشاوية

أصل كلمة شاوية يرجع إلى صيغة الجمع للفظ شاوي أي راعي الغنم في قول بعض المؤرخين، ويقول البعض الآخر: إن تسمية شاوية هي راعي الغنم، ومساكن الشاوية الأصلية في جبال الأوراس، ولذلك سميت شاوية الأوراس في

القطر الجزائري، وتمتد المساكن من الحدود التونسية إلى المنطقة الواقعة بين مدينتي باتنة، وبسكرة ومركزهم الرئيسي قرية لمبيز بجوار مدينة باتنة، وهم كثيرو الشبه بسكان شمال أوروبا من حيث زرقة العيون وكذلك شقرة الشعر، وهاتان الصفتان أكثر انتشارًا في شاوية أوراس منها في أي جهة أخرى من جهات الجزائر.

وكلمة شاوي أُطلقت في الأصل على سبيل الاستهزاء ثم صارت اسم جنس يُطلق عادة على عـدة جماعـات في بلاد المغرب العـربي أهمها شـاوية تامسنا في مراكش (المملكة المغربية) ثم يليها شاوية أوراس في الجزائر، وكما يُطلق اسم الشاوية على بربر زناتة وهوارة الذين امتزجوا بعناصر عربية، ويغلب على هذه الجماعات الجنوح إلى الشقاق العقائدي والديني فيما بينها، وكانت كتلة جبال أوراس التي تعيش في كنفها قبائل الشاوية وعلى الأخص في مقاطعة قسنطينة مركزًا لمقاومـة الخوارج الأباضية في القرن الثامن عـشر الميلادي، والظاهر أن اسم شاوية قد ظهر لأول مرة في كتاب ابن خلدون، ويبدو أن الشاوية الذين ذكرهم لم يكونوا من شاوية تامسنا بمراكش وإنما هي من القبائل التي تسكن في شرق مراكش بجوار قبيلتي الهوارة والزكارة، إذ شاوية تامسنا يحتلون في الشمال الشرقي لمراكش والمجرى الأسفل لنهر أم الربيع ويقال: إنهم حين انحدروا من قبائل زناتة والهوارة الذين أسكنهم المرينيون في تلك الجهة واختلطوا بعد ذلك بمن بقي فيها من قبيلة برغواطة المارقيين سكان هذا الإقليم، وعندما تم اختلاطهم بالعرب الذين استقدمهم السلطان الموحدي (دولة الموحدين) يعقبوب بن يوسف المُلَقب بالمنصور من إفريسقية (تونس) في المفترة الواقعة بين عامي ١١٨٤ _ ١١٩٩م غلبت على لهجتهم القبَّلية اللغة العربية، غير أن عددًا كبيرًا منهم مازالوا يحتفظون بلهجتهم من اللهجات البربرية بحكم إقامتهم في مناطق جبلية منعزلة.

نبذة عن زناتة

وهي من قبائل الشاوية الرئيسية، وقد أطلق المؤرخون العرب على إحدى المجموعتين الكبيرتين من البربر اسم زناتة، وقبائل زناتة رُحَّل في الغالب وهم

يرعون الإبل والأغنام، ويعيشون غالبًا في الخيام عبر الفيافي والصحراوات الممتدة من غدامس على الحدود الليبية التونسية الجزائرية (وهي بلدة ليبية) وحتى داخل مراكش (المملكة المغربية)، ويقول بعض المؤرخين إنهم انحدروا من صلب كنعان ولد سام أو من صلب جالوت ملك فلسطين أيام داود عليه السلام، وقد يُفرُق بعض الإخباريين بين عدة أجناس في زناتة، وتتميز قبائل زناتة بلغة ولهجة خاصة تنتشر في واحمات الزاب وورقلة، وفي غرب الجزائر يطلق عليهم الزناتيمة وأشهر فروعهم أو قبائلهم هي (يمانو، وبلومان، وبنو يفرن، ومغراوة) ومسكنها في جبال أوراس بشرق الجزائر حيث كانت ملكتهم في القرن الثاني الهجري "الكاهنة"، وقد قاومت العرب والفتح الإسلامي بمعاونة الملك البربري كُسيَّلة والذي قُتل بعد عدة حملات عربية أيام الدولة الأموية من عُقْسبة بن نافع الفهري (القُرَشي)، وزُهيّر بن قيس البلوي، ثم حسان بن النعمان الغساني الذي استطاع أن يقتل الكاهنة وكُسُيلة بعد صعوبة بالغمة، ومن بني يَفْرن الزناتية ظهر الفارس الشهمير في منتصف القرن الخامس الهجري والمسمى خليفة أبو سعدي الزناتي الذي كان قائد الجيش للبربو وقد قاوم العرب البادية من بني هلال عند توغلهم في الجزائر وله ملاحم أسطورية مع فرسان الهلالية، وقد قتلوه في نواحي الزاب من شـرق الجزائر بعــد أن قتل الكثير من الفرسان العرب، ويذكر أن قاتله هو ذياب بن غانم الزُغْسِي الهلالي؛ وكان بحربة قد صوبها إلى عينه لما أنه كان يلبس دروعًا من الحديد فلم يقدر عليه أحد من فرسان الهلالية.

نبذة عن هوارة

ذكر ابن خلدون أن موطن قبائل هواًرة (١١) كان في طرابلس وغربها، غزاهم العرب الهلاَلية والسُّلَمية وضيقوا عليهم الخناق وقد تضرقوا في البلاد،

⁽١) ينتمي السرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين إلى قبيلة هـوارة الشارية في مدينة قـالمة وهو من اسرة فقيرة واسمه (محمد بوخروبة) ولد في أبريل عام ١٩٢٥م في حمام المسخوطين في قرية جالمة (الآن مدينة) واسمه الحركي في الشورة الجزائرية بومدين وقيل إنه اسم استاذه ومعلمه، فـقد تعلم في الأزهر بمصر ثم تخرج من الكلية الحربية بعد أن انضم للجبهة، وقد استقل سفينة مصرية تحمل الاسلحة إلى الجزائر في أثناء اشتعال المعارك وقد تولى قيادة بعض الفصائل ثم قفز إلى منصب كبير في القيادة العامة بعـد اعتقال أحمد بن بيللا في فرنسا ومن ثم تولى مقاليد وزير الدفاع ثم قـاد انقلابا ضد حكومة بن بيللا في عام ١٩٦٤م وحكم الجزائر حتى عام ١٩٦٤م.

وانتقل قسم كبير من هوارة إلى مصر وكانوا أقوى القبائل ووصل بهم الحد إلى أن أقاموا دولة في صعيد مصر، ولايزال اسم هوارة معروف كقبيلة قوية في مصر، أما من ظل في بلاد المغرب فلما أثقلت كاهلهم الضرائب من قبيل الدول التي قامت في شمال إفريقيا وقد فقدوا عزتهم واستقلالهم اللذين عرفا بهما انصرفوا إلى رعي الأغنام وانتهى الأمر بإطلاق اسم الشاوية عليهم (أي رعاة الأغنام) ويقول محمد بن الحسن الوزاني: إن معظم هوارة الآن في الوقت الحاضر في شرق الجزائر أو في سفح جبل أوراس وهم رعاة غنم.

وفي كتاب المغرب (١) قال الأستاذ الصدِّيق بن العربي في ص ٧٥:

* أولاً عن البربر بصفة عامة:

البربر اسم أطلقه اليسونان ثم الرومان على جميع الشعوب سسواهم، وتسمية سكان المغرب بالبربر تسمية قديمة عرفها اليسونان والرومان والساميون كما عرفها العرب.

ولا يعرف البربر أنفسهم هذا الاسم الذي أُطلق عليهم، ولا يوجد في لغتهم، وإنما يطلقون على بلادهم بلاد أمازيغ،أي الوطن الحُر، وعلى أنفسهم إيمازيغن، أي الرجال الأحرار.

والبربر يستقرون منذ أقدم العصور بالضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط من برقة (شرق ليبيا) إلى المحيط الأطلسي، واتفق علماء المنسب على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان وهما البرانس والبتر.

فأما البرانس فأشهر قبائلهم:

أوربة _ ومسطاسة _ وهوارة _ وكُستامة _ وزرواوة _ ومصمورة _ وبرغواطة _ وحاحة _ ودكالة _ ورجراجة _ وكدميوه _ وكلاوة _ وكنفيسـة _ وغمارة _ وهرغة _ وهزرجة _ وهزميرة _ وهنتاتة _ وهيلانه _ ووريكة _ وزكيتة _ وجرولة _ ولمطة _ وتاركة _ وزناكة _ ولمتونة _ ومسوفة _ وهسكورة . إلخ .

⁽١) الطبعة الثانية ١٩٨٤م / ١٤٠٤هـ مزيدة ومنقحة ـ عن طريق الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

1.05

ومن أشهر قبائل البتر:

لواتة _ وسدراته _ وكومية _ ومديونة _ ومطماطة _ ومطغرة _ ومغيلة _ وزناتة _ وزواغة _ ومكناسة .

وتنتشر القبائل البربرية في المغرب والجرائر وتونس وليبيا والصحراء الكبرى من المحيط الأطلسي إلى نهر النيل، ومنهم بقاياهم بمصر بواحة سيوة وفي بلاد السودان وجُرز البحر الأبيض المتوسط كجزر قرقنة، وجربة (تونس)، ومالطة، وسردينيا، وجزر الكناريا (الجزر الخالدات)، وجزر أسور، بل توجد بعض البقايا من بطونهم في القارة الأمريكية.

زناتة أعظم قبائل البربر

قال الصدِّيق في ص ١٦١ عن قبائل زناتة بصفة عامة:

هي مجموعة قبائل كبرى منتشرة في أنحاء الشمال الإفريقي، اشتهر رجالها بالشجاعة والفروسية والروح الحربية العللية والتفوق في القتال، مما جعل هذه القبائل تلعب دورًا هامًا في تاريخ المغرب والأندلس، ومن رجالاتها العظام القائد طريف والقائد طارق بن زياد، واعتنقت هذه القبائل الإسلام في عهد عُقبة بن نافع، وساروا معه خلال غزواته وفتوحاته، وخلال فترات الضعف أسسوا لأنفسهم وأمارات مستقله بأغمات وسلا وتادلا وسجلماسة وفاس بالمغرب الأقصى، ومنهم بنوخزر وبنوزيان ملوك تلمسان (شمال غرب الجزائر).

وأضاف: وسهول زناتة تمتد في شرق البيضاء على شاطئ المحيط تبلغ مساحتها نحو ٣٥٠كم مربعاً يشقها واد ملاح وواد نففيخ، وتزدهر بها فلاحة الغلال والبواكير، وزناتة اليوم تُطلق في المغالب على الأراضي الساحلية الواقعة شرق الدار البيضاء ولعل القبيلة الأصلية كانت تستقر قديمًا بهذه المنطقة من المغرب الأقصد.

- وفي ص ٧٧ قال عن برغواطة: إمارة زناتية مستقلة تأسست بالساحل الأطلسي بين وادي أم الربيع ووادي سبو في أوائل القرن الثناني، ومن زعمنائها

طريف وابنه صالح وغيرهما ممن ارتدوا عن الإسلام وأسسوا لهم ديانة جديدة، واستمرت هذه الإمارة بتامسنا إلى أن قضى عليها المرابطون ثم الموحدون في القرن السادس.

- وفي من ٨٠ قال عن بني أبى العافية: بطن من قبيلة مكناسة الزناتية، ظهر أمرها في أواخر الدولة الإدريسية في ناحيتي ملوية وتارة وكان زعيم القبيلة هو مصالبة بن حبوس المكناسي ثم موسي بن أبي العافية الذي أسس إمارة زناتية استمرت نحو نصف قرن من ٣٠٦ إلى ٣٦٣هـ.

- وقال عن بني مدرار: تنسب هذه القبيلة إلى مكناسة من قبائل زناتة وأسست أول إمارة مستقلة بالمغرب في أواخر القرن الثاني عندما شيدت مدينة سجلماسة سنة ١٤٠هـ عاصمة لها واعتنقت مذهب الخوارج الصفرية، وبقيت هذه الامارة إلى أواسط القرن الخامس للهجرة.

ـ وفي ص ٨١ قال عن بني مرين: ينتمون إلى قبيلة زناتة الكبري التى كانت تحتل بلاد النخيل من غدامس (في غرب ليبيا على حدود تونس والجزائر) إلى السوس الأقصي.

وكانت أغلبية هذه القبائل بالمغرب الأوسط، فكان بنومسرين يقيمون فيما بين فيكيك وسجلماسة وملوية.

ولما سقطت دولة الموحــدين في أواسط القرن السابع للهجــرة دخل المرينيون إلى المغرب الموحدية وأسسوا دولة جديدة برئاسة الأمير عبد الحق المريني.

- وفي ص ٨٣ قال عن بني وطاس: فرقة من بني مُريَّن الزناتية كانوا يعرفون ببني الوزير دخلوا المغرب مع المرينيين، وكانوا عنصر فتنة وشغب فأعدم الملوك عددًا منهم، ثم تولوا الوزارة الأواخر ملوك المرينيين فاستفحل شرهم وعظمت صولتهم الى أن جاء عبد الحق آخر بني مُريَّن فأفناهم عن آخرهم، ولم يفلت منهم سوى محمد الشيخ الوطاسي الذي تولى الملُك بعد انقراض بني مُريَّن سنة ٨٧٢ هـ.

- وقال عن بنو يفرن: بطن من قبيلة زناتة الكبرى ظهر على مسرح السياسة في أواخر عهد الدولة الإدريسية، وكانت هذه القبيلة منافسة لقبيلة مغراوة تحارب تارة مع الأمويين وتارة ضدهم. وأشهر زعمائها أبو الكمال بن زيري الذي أسس إمارة تمتد من سلا إلى فاس، إلى أن اضمحلت في عهد المرابطين سنة ٢٦٩هم، وكان لأمراء بني يفرن الفضل الأكبر في القضاء على البرغواطيين المستقرين بالساحل، وتخريب مدنهم وتشتيت شملهم فلم تقم لهم قائمة بعد ذلك في عهد المرابطين والموحدين حيث اختفوا نهائيًا من مسرح المغرب.

وفي ص ١٨٦ قال عن بني يزناسن: هذه الكلمة محرفة عن كلمة بن يزناتن - أي زناتة - وتطلق على مجموعة كبرى من القبائل الزناتية المستقرة بين نهري ملوية وكيس بالمغرب الشرقي.

وفي ص ١٨٧ قال عن مغراوة: فرع من قبيلة زناتة الكبرى ابتدأ ظهورها في أواخر القرن الرابع حينما انضمت إلى الأمويين بالأندلس وحاربت الأدارسة، وأشهر زعمائها الأمير زيري بن عطية الذي أسس إمارة مستقلة استمرت نحو نصف قرن من ٣٨١ إلى ٤٢٨ هـ وجعل عاصمتها وجدة (مدينة مغربية قرب حدود الجزائر).

- وفي ص ٢٠٧ قال عن فازاز: بطن من بطون زناتة كان يحتل في القديم منطقة تادلا وماحولها إلى مكناس وملوية ووادي العبيد، وساهم أفرادها في جميع الحروب في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين، وقد اندثر هذا الاسم اليوم وحل محله اسم القبائل المتساكنة بهذا الإقليم، وأنجبت هذه القبيلة عددًا من الأعلام المشهورين في تاريخ المغرب والأندلس.

وقال عن بعض قبائل البربر في المغرب:

* أُورْبَة: قبيلة من قبائل البرانس كانت تحيتل المنطقة الواقعة بين زرهون وتازا، وكان زعيم هذه القبيلة عند قدوم المولى إدريس هو الأمير إسحاق أو عبدالحميد الأوربي الذي تنازل وبايع الإمام بالخلافة في آخر المقرن الشاني (١) وانظر عن هذه القبيلة في الإنصاف في تاريخ الاشراف في المغرب المغرب الأقصى الادارسة اعداد الاستاذ محمد سلمان الفني (مؤلف موسوعة القبائل العربية).

* جزولة: قبيلة كبرى قامت بدور مهم في عهد المرابطين، وكانت تستقر قرب جبال الأطلس الكبير جنوبًا، واتحدت مع جدالة ولمطة ومسوفة ولمتونة تحت راية الإمام عبد الله بن ياسين، وساهمت في المعارك التي انتهت بتأسيس الدولة المرابطية، وانجببت هذه القبيلة عددًا من العلماء والصلحاء وقواد الجيش.

* رجراجة: هذه القبيلة هي مقر السادات الرجراجيين المشهورين بالمغرب وبالأخص بقبيلة الشياظمة حيث توجد أضرحة أسلافهم المقدسين، وقبيلة رجراجة التي ينتسب إليها هؤلاء الأفاضل تستقر بحنوب نهر تانسيفت، وكان لها فضيلة السبقية إلى الإسلام في عصر ظهوره كما كانت من أولى القبائل المغربية المناصرة للإسلام والمدافعة عنه وبالأخص عند ظهور برغواطه بتامسنا، واشتهر منهم في العصر الأول للإسلام سبعة رجال هم المعروفون برجال رجراجة وهم: سيدي واسمان أو واسمين في طرف جبل الحديد برباط تاوريرت، وسيدي أبو بكر اشماس بزاوية اقرمود وابنه صالح سيدي عبد الله ادناس بالمشهد، وسيدي علي بوخابية بطرف وادي تانسيفت بزاوبة التوابت، وسيدي يعلى بن واصل بامسكن، وسيدي سعيد بن يبقى بتمارت.

* كومية: قبيلة تنتسب إلى البرابرة البنر وكانت تحتل المنطقة الواقعة حول تلمسان وإليها ينتسب الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي مؤسس دولة الموحدين المتوفي سنة ٥٥٨هـ.

* لمتونة: مجموعة كبرى من قبائل البرانس الصنهاجية، من بينها لمتونة وجدالة ومسوفة، وكان موطنها الأصلي بالصحراء الكبرى بين المغرب والسودان ومن رجالاتها العظام أبو بكر بن عمر ويحيى بن عمر ويوسف بن تاشفين مؤسسو دولة المرابطين الملغمين بالمغرب الأقصى.

* مصمودة: مجموعة قبائل عظيمة من البرانس كان لها التقدم على غيرها قبل الفتح الإسلامي وبعده، وتستقر هذه القبائل منذ القدم بجنوب أم الربيع والأطلس الكبير إلى شواطئ المحيط، ولعبت هذه القبائل دورا عظيمًا في تاريخ المغرب على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين.

1.04

* صنهاجة: إحدى القبائل الكبرى وأعظم قبائل البرانس بالمغرب حتى لاتكاد ناحية من بلاد المغرب تخلو من بطن من بطونها، ويقال إنها تنتمي إلى أصل حِمْيَري يماني، وكانت صنهاجة بعد الفتح الإسلامي تؤيد الفاطميين ضد قبائل زناتة التي كانت تؤيد الأمويين، وبسبب ذلك نشأ بين القبيلتين نزاع استمر عدة قرون.

وأسست هذه القبائل الصنهاجية إمارات مستقلة بتونس (بنوزيري)، وبالجزائر (بنوحماد)، وبالمغرب الأقصى (المرابطين) وبالأندلس (بنوزيري أيضًا بغرناطة).

ولاتزال مجمـوعة من هذه القبائل تحمل نفس الاســم لحد الآن بإقليمي تازة والناظور في شرق وشمال المملكة المغربية.

* غمارة: مجموعة قبائل تحتل مناطق شاسعة بالريف والبحر المتوسط شمال المغرب من بينها قبائل بني زيات سميح وبني رزين وبني منصور... إلخ، واشتهر من زعمائها في القديم يوليان الغماري صاحب سبتة وطنجة الذي سهل للفاتحين العرب عملية غزو الأندلس.

* سكساوة: قبيلة بناحية ايمنتانوت جنوب مراكش كانت تدعى قديمًا بسكسيوة، واشتهر أمرها في عصر الموحدين والمرينيين وبها حصن القاهرة الذي بني في عهد الأشراف السعديين، وبوسط القبيلة ضريح للا عزيزة السكسيوية التي كانت تتمتع بنفوذ روحي عظيم على السكان خلال العصر المريني حتى كانت تشد إليها الرحال!؟(١).

* هرغة: قبيلة كبرى تحتل المنطقة الممتدة جنوب مراكش على ضفاف الأطلس الكبير شرق تارودانت، وقد اندثر الاسم وحل محله عدد من أسماء القبائل المتساكنة هناك.

* هنتاتة: أطلق هذا الاسم على مجمعوعة من القبائل القاطنة بالأطلس الكبير في عصر الموحدين بين جبل كيك وتينمل، واندثر هذا الاسم منذ عصر الأشراف السعمديين، وكان لرجال هذه القبائل دور هام في الحروب التي خاضها

⁽١) وهذا لايمجوز شرعًا، فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: ﴿لا يُشدُّ الرحال إلا لثلاث، المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا ـ أي المسجد النبوي».

الموحدون ضد خصومهم، وإليها ينتسب أنصار المهدي بن تومرت وكبيرهم أبو حفص الهنتاتي جد الملوك الحفصيين بتونس. وإلى هذه القبيلة الأطلسية التجأ أبو الحسن المريني بعد عودته من تونس عند رعيمها الأمير عبد العزيز الهنتاتي الى أن توفى بها سنة ٧٥٧هـ ومنها نقل إلى مراكش فشالة.

* هسكورة: قبيلة كانت تستقر في السوس الأدنى جنوب تارودانت وهناك منطقة سكورة الواقعة باقليم ورزازات.

* هوارة: قبيلة كبرى من القبائل التي اشتهرت في العصر العلوي بالمغرب الاقصى وتستقر الآن في منطقتين: الأولى بسوس قرب أكادير، والثانية في سهول مصون بين تازة وجرسيف.

* الأوداية: قبيلة كـبرى من قبائل الجيش المخزني اسـتخدم الملوك العلويون أفرادها بالجيش وأقطعوهم الأراضي الفلاحية بالرباط وفاس ومكناس.